# حول الأدلة القاطعة
# على نُبُوَّة سيدنا محمد ﷺ

الإمام الشيخ
عبد الله سراج الدين
رحمه الله تعالى ورضي عنه

# هذا البحث مقتبس من كتاب

## ( محاضرات حول مواقف سيدنا رسول الله ﷺ
## مع العالم ـ موقف تعليم الكتاب )

**من الصفحة ٣٩٧ حتى الصفحة ٤١٤**


## للشيخ الإمام
# عبد الله سراج الدين الحسيني
## بناء على توجيهات ولده
## المهندس الشيخ
# محمد محيي الدين سراج الدين
رحمهما الله تعالى ورضي عنهما



## ويمكنك تحميل هذه الأبحاث القيّمة
## وتحميل جميع كتب الشيخ الإمام
## من موقعه الرسمي والوحيد
# WWW.SRAJALDEN.COM
## قسم مؤلفات الإمام
## ـالمؤلفات المكتوبة وقبسات من المؤلفات

**مدير الموقع :**
**الشيخ عبد الله محمد محيي الدين سراج الدين**

# المحاضرة العشرون

## حول

## الأدلة القاطعة على نبوة ورسالة

## سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم

## من خلال الإعجاز الخبري الغيبي

## في القرآن الكريم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربِّ العالمين، وأفضل الصلاة وأكمل التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ـ أما بعد:

*** قصة السيدة مريم عليها السلام:**

لقد أنزل الله تعالى القرآن الكريم على سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم على وجه معجز بوجوه من الإعجاز، وَمِن جملة ذلك: الإعجاز الخبري، وهو: الإخبارات الغيبية عن وقائع وأمور ماضية، جاء القرآن الكريم بذكر تفاصيلها.

وبلّغ ذلك سيدنا محمدٌ صلى الله عليه وآله وسلم، على الرغم من أنه صلى الله عليه وآله وسلم نشأ أمياً لم يقرأ ولم يكتب، ولم يستمع إلى معلم أو مؤرخ، فَمِنْ أين له هذه العلوم والإخبارات الغيبية؟! نعم. إنها بتعاليم الله له، ووحي الله إليه، كما قال سبحانه: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ﴾ [هود: ٤٩] وهذا يدل على أنّ هذا القرآن هو حقاً كلام الله تعالى، وأن النازل عليه وهو سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، هو حقاً رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ومن جملة إخبارات القرآن الكريم عن المغيبات والوقائع الماضية، قصة السيدة مريم عليها السلام: قال سبحانه: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ

وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِىَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِى عَاقِرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿٤٠﴾ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّىٓ ءَايَةً ۚ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا ۗ وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٤١﴾ وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾.

[آل عمران: ٣٧ـ٤٤]

في هذه الآيات الكريمة يُنبه الله سبحانه العقول إلى التفكر في شأن هذا الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم، حيث إنه جاء بأمور لم يقرأها من كتاب، ولم يسمعها من مؤرخ، وإنّما أوحاها الله تعالى إليه، فجاء بها خبراً غيبياً مفصلاً، ممّا يدل على أنه حقاً رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. وهذا يدل على أن هناك وحياً من الله تعالى إلى رسوله صلى الله عليه وآله وسلم.

وليست قضية سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قضية ذكاء وفطانة فقط، فهو ولا شك أعلم العالمين وأذكاهم وأعقلهم،

ولكن هناك وحي يُوحيه الله إليه، يشمل علوماً ومعارف يعجز البشر عن الإحاطة بها.

أما معنى الآيات: ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ أي: جعل سبحانه زكريا كفيلاً على مريم ضامناً لمصالحها، قائماً بشؤوناتها وحاجاتها.

﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ﴾ إذ إن زكريا عليه السلام أسكنها في غرفة في مَسجد بيت المقدس، ولها سبعة أبواب متتالية ضمن بعضها البعض، وكانت مفاتيح هذه الأبواب مع زكريا عليه السلام، وكان يدخل عليها ويقوم بمصالحها.

﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ﴾ أي: غرفة عبادتها وصلاتها. وكل موضع للعبادة والصلاة فهو محراب، لأنّ العبادة فيها محاربة النفس والهوى والشيطان. وأما إطلاق المحراب على موضع الإمام فهو إطلاق عرفي.

﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ﴾ أي: غرفة عبادتها ﴿وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا﴾ مع أنّه لا أحد غيره يدخل عليها ويأتيها بما تحتاج. فكان يجد عندها فواكه وثمار الصيف والشتاء في آن واحد، ويجد عندها الأطعمة، والحال أنّه لم يأتها بهذه الفواكه والأطعمة، إنما أتاها بأشياء معينة.

﴿قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا﴾ أي: مِنْ أين لك هذا؟! ﴿قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ أي: إن جبريل أو بعض الملائكة يأتيها بهذه الأطعمة والفواكه من عند الله، وليست من العالم الأرضي المعروف ﴿إِنَّ ٱللَّهَ

﴿يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ أي: من غير حساب يحتسبه الإنسان من هنا أو هناك، فَقد يحتسب الإنسان رزقه من العمل الفلاني، أو المتجر الفلاني، أو التجارة الفلانية، ولكن الله يرزقه مِنْ حيث لا يحتسب، فقد يحتسب المرء ويحسب رزقه من أمر معين؛ فيأتيه الرزق من أمر لم يكن في حسبانه واحتسابه.

ومن ناحية أخرى: فهو سبحانه: ﴿يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ أي: بغير حساب يدخل تحت حساب الحُسّاب، بل يُعطي عطاءً يَعجز عنه الحُسّاب في تقديره وإحصائه.

﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ﴾ أي: في ذلك المكان وعلى الفور، إذ لمّا رأى الأمر الخارق للعادة، وهو الثمر الذي يُؤتى إليها في غير مَعاده، فراح يدعو بأمر خارق للعادة، وهو أنّه بَلغه الكبر وامرأته عاقر، فالذي قَدَر على أن يُنتج الثمر في غير أوانه من الشجر، فهو قادر على أن يُنتج ثمرة الولد رغم الكبر في السن وعقم الزوجة. وذلك لأن الولد ثمرة والديه.

﴿قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾ أي: هب لي من أمرك اللدني الذي هو فوق الأسباب المعتادة، وهذا معنى الأمر اللدنّي أو العِنْدي، فلا يتوقف على الأسباب الظاهرة.

وقد دعا بذلك زكريا عليه السلام لأن الأسباب الظاهرة والعادة المطّردة أنّه مَنْ كبرت سنّه، وكانت زوجته عقيماً في حال الشبوبية؛ فمن باب أولى أن لا تلد في حالة الشيخوخة، فراح زكريا يطلب الأمر الخارق للعادة، ويسأل الله مِنْ لدنه. أي: من عنده.

﴿ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾ أي: ذرية صالحة بالأعمال الطيبة ﴿إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ وقد ختم زكريا عليه السلام دعاءه بهذا اقتداءً بجده إبراهيم عليه السلام الذي قال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ [إبراهيم: ٣٩].

ومعنى: ﴿إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ أي: سَمْعُ الإجابة والعطاء. أي: أنت مجيب دعاء مَنْ دعاك يا رب.

ولقد دعا زكريا عليه السلام بثلاث دعوات فقال: ﴿قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾.

وقال أيضاً كما ورد في الأثر: «ربٍّ ربٍّ ربٍّ».

فقال تعالى: «لبيك لبيك لبيك يا زكريا».

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾ أي: كبرتُ في السن حتى اعتراني الضعف، وعلا الشيب رأسي ﴿وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾ أي: محروم الإجابة، فلقد عودتني الإجابة في كل دعوة دعوتك بها، وها أنا ذا اليوم أدعوك بهذا الأمر الخارق للعادة، وإن الأمور عندك كلها سواء، فكما أجبتني فيما مضى، فأجبني وحقق لي مرادي الآن.

وفي هذا توسّل إلى الله تعالى بعطائه السابق، ورجاءٌ منه سبحانه في حصول العطاء اللاحق.

﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن

لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾ أي: إنه عليه السلام خاف أن يتوفّى ولا خلف يرثه في النبوة فتضيع الموالي وهم: أقاربه وأولاد عمّه، أي: خشي أن يضيع أمرهم من بعده إن لم يكن هناك من يرثه.

ودعا أيضاً بقوله: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٩] أي: لا تذرني فرداً كشجرة لا ثمر فيها، بل اجعل لي من يرثني. ولقد دعا زكريا عليه السلام بهذه الدعوات وهو في محراب السيدة مريم. أي: في بيت عبادتها.

﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ قال جمهور العلماء: إن الجواب جاء فورياً في المجلس نفسه الذي دعا فيه، بدليل قوله تعالى: ﴿فَنَادَتْهُ﴾ والفاء هنا: للتعقيب ﴿وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ﴾ أي: في محراب السيدة مريم، إذ إنه لما دخل عليها ورأى ما رأى عندها من رزق الله تعالى، قام فصلّى ودعا، وهو في المحراب قائم يصلي نادته الملائكة ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ﴾ أي: إنّك طلبت من الله مَنْ يرثك من بعدك، ويُحيي ذكرك من بعدك، فأجابك الله، ووهب لك يحيى ليحيا به ذكرك يا زكريا ﴿مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أي: مؤمناً بعيسى بن مريم، وذلك لأنّ يحيى وعيسى اجتمعا في زمن واحد.

ويقال عن عيسى عليه السلام: كلمة الله لأنه خُلِقَ بقول الله: ﴿كُن﴾ كما قال تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ فعيسى عليه السلام هو أثر قول الله: ﴿كُن﴾ فكان عيسى مثل آدم.

وقد يقال: إذاً يجب أن يكون آدم هو كلمة الله أيضاً؟

فيقال: إنّ آدم أيضاً كلمة الله، وأنت كلمة الله، والعالم كله كلمات الله، أي: كلهم خُلقوا بقول الله: ﴿كُن﴾ وإنما اشتهر عيسى عليه السلام بأنه كلمة الله تعالى لأنّه أحق مِنْ غيره، باعتبار أنه خُلق على وجه مخالف للعادة المعروفة، إذْ خَلَقه الله تعالى من أم بلا أب. وإلا فجميع المخلوقات هي كلمات الله تعالى. فافهم.

ومعنى: أن المخلوقات هي كلمات الله تعالى، أي: أنهم خُلِقوا بكلمة الله:﴿كُن﴾ فهم أثر كلمة الله ﴿كُن﴾، كما تقول:المطر رحمة الله أي: أثر رحمة الله. والجنة رحمة الله. أي: أثر ومظهر رحمة الله تعالى.

وهكذا فإنّ عيسى عليه السلام كلمة الله. أي: خُلق بكلمة الله ﴿كُن﴾ لا أن عيسى صفة قائمة بالله تعالى، ولا أنه جزء من الله تعالى. وإنما المراد بـ كلمة الله أي: أثر كلمة الله، كما تقول: الجنة رحمة الله أي: أثر رحمة الله، كما قال تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٧] أي: في الجنة هم خالدون. وليس المراد برحمة الله هنا: الصفة القائمة بذات الحق سبحانه وتعالى، وإنما المراد أثر رحمة الله تعالى.

وهكذا إذا نظرت إلى السماوات والأرض فتقول: هذه قدرة الله. أي: أثر القدرة الإلٰهية، وليس مرادك صفة القدرة القائمة بذات الحق.

فهذا العالم كلمات الله. أي: آثار كلمات الله التكوينية ﴿كُن﴾ ﴿كُن﴾ وهكذا.

قوله تعالى: ﴿وَسَيِّدًا﴾ أي: إنّ يحيى عليه السلام سيكون سيداً في قومه ﴿وَحَصُورًا﴾ أي: لا يميل إلى النساء رغم وجود الداعية فيه إلا أنّه مشغول بعبادة الله تعالى. وهذا لا يعني أنه عنّين بل كان مشغولاً بالعبادة والتوجه إلى الله تعالى منذ صغره، وقد ورد [1] أنه لمّا كان صغيراً مرّ على صبيان يلعبون في الطريق قالوا له: تعال ٱلْعَبْ معنا. فقال: إني لَمْ أُخلق لِلّعب ﴿وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ أي: مِن الصالحين صلاح النبوة؛ لا الصلاح العام، إذ إنه نبي فهو من الأنبياء الصالحين بالصلاح النبوي.

﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِي عَاقِرٌ﴾ وهذا شيء كبير وأمر عجيب ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ﴾ أي: إن الأمر كذلك ﴿ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ فهو يخلق ويفعل ما يشاء، كيفما يشاء، ولا حظر في تخليقه سبحانه.

﴿قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً﴾ أي: علامة تدل على بدء تعلّق الماء بالرحم، وبدء نشوء هذا الجنين في رحم أمّه. وذلك حتى ينصرف إلى الله بالشكر والحمد؛ وإنْ كان هو شاكراً حامداً من قَبْل، وإنما بزيادة الحمد والشكر لرب العالمين.

﴿قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا﴾ أي: أن العلامة على بدء حمل زوجتك بيحيى، أنك تصبح ذات يوم لا تستطيع أن

---

(١) عزاه في الدر المنثور إلى أحمد في الزهد، وابن المنذر وابن أبي حاتم عن معمر بن راشد، وإلى عبد الرزاق، وعبد بن حميد عن قتادة، وغيرهم.

تتكلم مع الناس، لأن لسانك ممنوع عن الكلام إلا عن ذكر الله تعالى والثناء عليه، وإنما تجيب الناس بالرمز والإشارة. فإذا رأيت هذا الحال مِنْ نفسك، فاعلم أنّه قد تعلق الماء بالرحم وبدأ الحمل.

﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ﴾.

وقال سبحانه في سورة مريم: ﴿أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾ أي: ثلاثة أيام بلياليها.

ومعنى: ﴿سَوِيًّا﴾ أي: وأنت سوي القامة، مستقيم الجسم، لا علّة فيك تمنعك من الكلام مع الناس، بل أنت سوي الجسم صحيح البدن.

﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ﴾ أي: إن أنْت رأيت العلامة فأكثر من ذكر الله وتسبيحه. ولهذا قال تعالى في سورة مريم: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ﴾ أي: فأصبح وهو ممنوع من الكلام ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ﴾ أي: سألوه فلم يستطع أن يجيبهم، فأشار إليهم باليد ﴿أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ أي: شكراً لله تعالى.

﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ﴾ أي: انتقاك صفوة ﴿وَطَهَّرَكِ﴾ أي: وطهرك مِنْ دنس النساء وسوء الخلق ﴿وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ أي: عالمي زمانها فقط، فَأَنْتِ أفضل نساء العالمين في زمنك.

وجاء في الحديث الذي رواه الترمذي وصحّحه[1]: «حسبك من

---

(١) في كتاب المناقب، باب مناقب السيدة خديجة رضي الله عنها (٣٨٨٨) عن سيدنا أنس رضي الله عنه.

نساء العالمين: مريم بنت عمران، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، وآسية امرأة فرعون» إلا أن السيدة فاطمة رضي الله عنها هي سيدة نساء أهل الجنة، كما أخبر صلى الله عليه وآله وسلم [1].

وأخبر صلى الله عليه وآله وسلم عن فضل السيدة عائشة في جملة الكمّل فقال[2]: «كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا: آسية امرأة فرعون، ومريم بنت عمران، وإنّ فضل عائشة على سائر النساء، كفضل الثريد على سائر الطعام».

﴿يَٰمَرۡيَمُ ٱقۡنُتِي لِرَبِّكِ وَٱسۡجُدِي وَٱرۡكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ﴾ أي: إن هذه الأمور التي ذكرناها لك يا رسول الله من أنباء الغيب ﴿نُوحِيهِ إِلَيۡكَۚ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ يُلۡقُونَ أَقۡلَٰمَهُمۡ أَيُّهُمۡ يَكۡفُلُ مَرۡيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ يَخۡتَصِمُونَ﴾ أي: يا رسول الله أنت ما كنت حاضراً في زمن زكريا حضوراً دنيوياً شهودياً، حتى تشاهد ما وقع في زمن مريم من التخاصم أيّهم يكفل مريم، لكن ربّ العزة أخبرك خبراً مفصلاً، فكأنك رأيت الأمر عياناً.

---

(١) كما في صحيح البخاري، آخر كتاب المناقب (٣٦٢٤) عن السيدة عائشة رضي الله عنها، وعند مسلم في المناقب، باب مناقب السيدة فاطمة رضي الله عنها (٢٤٥٠): «سيدة نساء العالمين. أو سيدة نساء هذه الأمة» رضي الله عنها.

(٢) كما في المسند (٤/٣٩٤)، والبخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب /٣٢/ (٣٤١١)، ومسلم في فضائل الصحابة، باب مناقب السيدة خديجة رضي الله عنها (٢٤٣١) عن سيدنا أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ﴾ إذاً فمن أين له هذه الإخبارات؟! مع أنّه صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن لديهم ولم يقرأ كتبهم. فافهم أيها العاقل أنّ سيدنا محمداً حقاً رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأنّ هناك وحياً من الله تعالى إلى رسوله صلى الله عليه وآله وسلم.

﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ فلما أراد زكريا عليه السلام أن يكون كفيلاً على مريم نازعته الأحبار، وكلهم أرادوا أن يتشرفوا بكفالتها، لأنها بنت إمامهم عمران، واختلفوا فيما بينهم، حتى اقترحوا أن يقترعوا بأن يلقي كل منهم بقلمه الذي كان يكتب به التوراة في النهر، فالقلم الذي يعاكس جريان النهر، ولا يجري في الماء يحق لصاحبه أنْ يكون كفيلاً على مريم، فلما فعلوا ذلك جرت أقلامهم مع النهر إلا قلم زكريا. فلم يرضوا بذلك بل قالوا: إن القلم الذي يجري مع النهر يكون صاحبه كفيلاً لمريم، فلما فعلوا وقفت أقلامهم وجرى قلم زكريا عليه السلام. وقبل أن يفعلوا ذلك وضعوا أقلامهم في كيس، وأتوا بغلام لم يبلغ الحلم كان يُصلي في بيت المقدس، وقالوا له: ضم يدك في هذا الجيب ـ الكيس ـ وأخرج قلماً يُصِبْ يدك، ففعل فأخرج قلم زكريا.

وهكذا ظهر الحق لزكريا عليه السلام إلا أنهم راحوا يخاصمونه أولاً وثانياً وثالثاً حتى انقطع خصامهم، ودحضت حججهم، ورضوا بزكريا أن يكون كفيلاً على مريم عليها السلام.

# كرامات الأولياء

لقد أخبر سبحانه عن إكرامه للسيدة مريم عليها السلام بقوله تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا﴾ [آل عمران: ٣٧] وقوله جلَّ وعلا: ﴿يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٤٢] وهي صِدِّيقة وليست نبية، كما قال تعالى: ﴿وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ﴾.

فلقد أكرمها الله تعالى بخوارق عادات منها: أن ساق إليها فواكه الشتاء، والصيف في آن واحد، وفي هذا نص قرآني بثبوت كرامات الأولياء، كما في قصة أهل الكهف، وإحضار عرش بلقيس وغير ذلك.

وقد وردت أحاديث كثيرة تُخبر عن إكرام الله لأوليائه، وقد وَردت أيضاً أحاديث كثيرة في إكرام الله تعالى لأصحاب سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

فمن جملة ما ورد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في ذكر إكرام الله لأوليائه، والصلحاء من عباده، ما جاء في الحديث المتفق عليه[1]، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة» أي: هم المشهورون،

---

(١) البخاري في كتاب العمل في الصلاة، باب إذا دعت الأم ولدها.. (١٢٠٦)، ومسلم-واللفظ له-في أول كتاب البر والصلة والآداب (٢٥٥٠).

وقد وردت أحاديث في غير هؤلاء الثلاثة، إلا أنّ هؤلاء الثلاثة جاؤوا في حديث واحد. «عيسى ابن مريم، وصاحب جريج، وكان جريج رجلاً عابداً ـ أي: من عباد بني إسرائيل ـ فاتخذ صومعة فكان ـ يعبد الله تعالى ـ فيها، فأتته أمه وهو يصلي ـ أي: صلاة النفل ـ فقالت: ياجريج ـ وهو في صلاته ـ فقال: يا رب أمي وصلاتي؟! ـ أي: أقدم صلاتي أم أجيب أمي؟ـ فأقبل على صلاته. فانصرفت.

فلما كان من الغد أتته وهو يصلي، فقالت: يا جريج فقال: يا رب أمي وصلاتي؟! فأقبل على صلاته، فقالت: اللهم لا تُمته حتى ينظر إلى وجوه المومسات ـ أي: حتى يقع نظره فقط على وجه فاجرة زانية، وقد اعتبرت أنّ هذه مصيبة كُبرى، وهي أنْ يقع نظره على فاجرة لا أنْ يفتتن بها ـ فتذاكر بنو إسرائيل جريجاً وعبادته ـ أي: جماعة من فسّاق بني إسرائيل، وأرادوا أن يفتنوا جريجاً عن عبادته ـ وكانت هناك امرأة بغيٌّ من بني إسرائيل يتمثل بحسنها فقالت: إن شئتم لأفتننه لكم؟ فتعرضت له فلم يلتفت إليها. فأتت راعياً كان يأوي إلى صومعته فأمكنته من نفسها، فوقع عليها، فحملت، فلما ولدت قالت هو من جريج. فأتوه فاستنزلوه وهدموا صومعته، وجعلوا يضربونه، فقال: ما شأنكم؟!. فقالوا: زنيتَ بهذه البغيِّ فولدت منك. ـ وهنا وقع نظره على المرأة وتحققت دعوة أمه ـ فقال: أين الصبي؟ فجاؤوا به، فقال: دعوني حتى أصلي؛ فصلى، فلما انصرف أتى الصبي فطعن في بطنه وقال: يا غلام مَن أبوك؟ فقال: فلان الراعي. قال: فأقبلوا على جريج يقبلونه ويتمسحون به، وقالوا: نبني لك صومعتك

من ذهب. قال: لا. أعيدوها من طين كما كانت. ففعلوا» وهكذا أنطق الله الغلام الرضيع في براءة جريج، إكراماً له من الله تعالى.

وقد يُشكل عليك كيف أن أمه دعت عليه؟ فاعلم أنّ جريجاً كان يعلم أنّ أمه حادة الطبع، ويغلب على مزاجها الغضب، فكان من الواجب عليه أن يقطع صلاته ـ لأنه في صلاة النفل ـ ويجيب أمه فلمّا لم يجبها دعت عليه، وكان ما كان أن وقع نظره على امرأة مومس.

وأما الثالث: «وبينما صبي ـ من بني إسرائيل ـ يرضع من أمه، فمرّ رجل راكب على دابة فارهة وشارة حسنة، فقالت أمه: اللهم اجعل ابني مثل هذا. فترك الثدي وأقبل إليه، فنظر إليه، فقال: اللهم لا تجعلني مثله. ثم أقبل على ثديه فجعل يرتضع.

قال: ومروا بجارية وهم يضربونها ويقولون: زنيت، سرقت، وهي تقول: حسبي الله ونعم الوكيل. فقالت أمه: اللهم لا تجعل ابني مثلها. فترك الرضاع ونظر إليها فقال: اللهم اجعلني مثلها. فهناك تراجعا الحديث... قال: إن ذاك الرجل كان جباراً ـ أي: عاقبته وخيمة ـ فقلت: اللهم لا تجعلني مثله. وإن هذه يقولون لها: زنيت ولم تزن، وسرقت ولم تسرق، فقلت: اللهم اجعلني مثلها» أي: لأنها امرأة صالحة بريئة، ولكنهم يقولون لها: فعلتِ وفعلتِ. فطلب الصبي من الله تعالى أن يجعله من الصالحين، لا من الجبارين المتكبرين.

وجاء في الحديث المتفق عليه[1] عن ابن عمر رضي الله عنهما

---

(١) البخاري في كتاب البيوع، باب إذا اشترى شيئاً لغيره بغير إذنه فَرَضِيَ (٢٢١٥) ـ واللفظ هنا من كتاب الإجارة (٢٢٧٢) ـ (٣٤٦٥)، ومسلم في آخر كتاب الذكر والدعاء والتوبة (٢٧٤٣).

قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «انطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم حتى آواهم المبيت إلى غار فدخلوه، فانحدرت صخرة من الجبل فَسدّت عليهم الغار، فقالوا إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة: إلا أن تدعوا إلى الله بصالح أعمالكم.

**فقال رجل منهم**: اللهم كان لي أبوان شيخان كبيران، وكنت لا أغبق ـ الغبوق: الذي يُشرب عند المساء ـ قبلهما لا أهلاً ولا مالاً ـ أي: لم يكن يسقي أو يُطعم أحداً قبلهما ـ فنأى بي في طلب شيء ـ أي: تأخّر مرة في المرعى ـ فلم أُرحْ عليهما حتى ناما، فجلبت لهما غبوقهما فوجدتهما نائمين، فكرهت أغبق قبلهما أهلاً أو مالاً، فلبثت والقدح على يديَّ أنتظر استيقاظهما حتى برق الفجر، فاستيقظا فشربا غبوقهما.

اللهم إن كنتُ فعلت ذلك ابتغاء وجهك؛ فَفَرِّجْ عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة؛ فانفرجت شيئاً لا يستطيعون الخروج».

قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «**وقال الآخر**: اللهم كانت لي بنت عمّ، وكانت أحب الناس إليّ، فأردتها عن نفسها فامتنعت مني حتى ألمّت بها سنة من السنين ـ أي: قحط وشدة ـ فجاءتني فأعطيتها عشرين ومائة دينارٍ على أن تُخَلِّي بيني وبين نفسها، ففعلت، حتى إذا قدرت عليها قالت: لا أُحِلُّ لك أن تفض الخاتم إلا بحقّه ـ أي: وفِعْلكَ هذا ليس شرعياً ـ فتحرجت من الوقوع عليها، فانصرفتُ عنها وهي أحب الناس إليَّ، وتركت الذهب الذي أعطيتها.

اللهم إن كنتُ فعلتُ ذلك ابتغاء وجهك؛ فافرّج عنا ما نحن فيه. فانفرجت الصخرة غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها».

قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : «**وقال الثالث** : اللهم إني استأجرت أجراء، فأعطيتهم أجرهم، غير رجل واحد ترك الذي له وذهب ـ وكانت الأجرة كمية من الأرز كما في رواية ـ فَثَمَّرْتُ أجره حتى كثرتْ منه الأموال، فجاءني بعد حين فقال: يا عبد الله أدِّ إلَيَّ أجري، فقلت له: كل ما ترى من أَجْرك من الإبل والبقر والغنم والرقيق.

فقال: يا عبد الله لا تستهزئ بي، فقلتُ: إني لا أستهزئ بك. فأخذه كله فاستاقه فلم يترك منه شيئاً.

اللهم فإن كنتُ فعلتُ ذلك ابتغاءَ وجهك؛ فافرّج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون».

ولقد أكرم الله تعالى أصحاب سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بكثير من خوارق العادات، وَمِنْ جملة ذلك ما وقعَ مع سفينة مولى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ـ أي: عتيق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ـ.

قال سفينة رضي الله عنه: ركبتُ البحر يوماً فانكسرت السفينة، حتى أتت الأمواج بي إلى الشاطئ، فنزلت ولا أدري أين الطريق فمشيت ـ أي: وهو حائر ـ فأقبل إليّ من بعيد سَبع، فلمّا دنا مني قلت له: يا أبا الحارث أنا مولى رسول الله ـ أي: أنا الذي اشتراني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأعتقني ـ فطأطأ السبع رأسه، وجعل يدفعني حتى أوصلني إلى الطريق، ثم همهم، فعرفت كأنه يودعني ويسلّم عليّ. فمشيت في الطريق حتى رجعت.

ومن ذلك ما وقع مع الصحابي الشهير عاصم بن ثابت رضي الله

عنه لَمّا أسره المشركون وقتلوه، فأرادوا أن يقطعوا رأسه ليدفعوه إلى بعض أهل مَنْ قَتل من المشركين يوم أحد، فأرسل الله تعالى طائفة من النمل، فلما كان الليل أرسل الله تعالى فيضاً من الماء حمل جسد عاصم إلى مكان غير معروف، فلما جاؤوا لم يجدوه.

وهذا لأن عاصماً رضي الله عنه دعا بدعاء قبل أن يموت: أن لا يمس جسده يدُ مشرك، فأجاب الله تعالى دعاءه حياً وميتاً رضي الله عنه.

ومن هذا ما وقع للعلاء بن الحضرمي رضي الله عنه، لمّا مشى بجيش المسلمين على وجه الماء، حتى كان إذا وقع سيف أحدهم أخذه كأنما يأخذه من التراب. وهذا لمّا أرسله سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه لمحاربة أهل الردة وقتئذ [وانظر تفاصيل ذلك في كتاب: (التقرب إلى الله تعالى) لمولانا الوالد رضي الله تعالى عنه].

ونسأل الله تعالى التوفيق.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم
والحمد لله رب العالمين

❖ ❖ ❖ ❖ ❖